في هذه الاقسام الثلاث فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضايل فينبغي ان لا
يهمل افضل الاعمال لينشغل به فان من فاته من ايد ربح وهو قادر على دركه فهو
مغبون والارباح تنال بعزايا الفضايل فبقدر ما اخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال
الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات
ثلثة ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة
مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله عليه فيها وساعة
راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر
على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاول
ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فينبغي يكون ابن وقته ولعله
اخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون اخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان
يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر
رضي الله عنه من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او
لذة في غير محرم وبمعناه قال علي رضي الله عنه على العاقل ان يكون له اربع ساعات
ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى عليه وساعة
يخلو فيها للمطعم والمشرب فان هذه الساعة عون له على بقية الساعات ثم هذه
الساعة لا ينبغي ان تخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام
الذي يتناوله فيه من العجايب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح
والناس فيه اقسام قسم

ينظرون فيها بعين البصيرة والاعتبار فينظرون في عجايب صنعتها وكيفية ارتباط قوام
الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الالات
المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضها في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم
ينظرون فيها بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويودون لو
استغنوا عنها ولكنهم يرون انفسهم فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقسم
يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة
ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر ينفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو مقام
العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي
الصنعة واستقبل قلبه بالصانع وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص
فيتاسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق
هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفعل
للطبيخ والطباخ والقدرة وعلمه هو الله وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن
فقد ذم الله فهذه هي المراقبة للاعمال على الدوام وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه
على المنهاج لمن احكم الاصول وانما المجاهدة يوهي ان العبد بعدما حاسب نفسه فراها
قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات وان راها تتوانى بحكم الكسل في
شيء من الفضايل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها
فنونا من الوظايف جبرا لما فات وتداركا لما فرط وهذا انما يكون بعد المحاسبة وهي

Copyright © King Saud University